إضاءات في معنى الارتباط

للعاملين في صفوف الدعوة المحمدية

من توجيهات
الحبيب العلامة

عُمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

نفع الله به آمين

اعتنى به
الدائرة الدعوية
بدار المصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القائل ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، والصلاة والسلام على خير هاد، مربِّي العباد، وموصلهم إلى غاية الأدب والرشاد، سيدنا محمد القائل ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))، وسلام الله تعالى على أهل بيته المتلقين أنوار الهداية، المحفوظين المطهرين عن الرجس والغواية، ورضي الله تعالى عن أصحابه السائرين على منهج النبوة، أولي المكارم والفتوة.

أما بعد، لما كان حقُّ المربين على المريدين كبير، ولا يعرفه ويؤديه إلا من تصفى له الضمير وثبت قدمه في المسير.. أحببنا نقل بعض من كلام مربِّينا وشيخنا سيدي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ الفخر أبي بكر بن سالم في هذه الورقات المعدودة، حتى نعرف حق صحبة الرجال الذي ينهضنا حالهم، ويدلنا على الله مقالهم، فنكون بأوصاف الربوبية.. متعلقين، وبشمائل النبي.. متخلقين، وبصفات عبوديتنا.. متحققين.

فالمربُّون: هم دليل الله إليه؛ لكونهم ورثة المربِّي المزكِّي الأول ﷺ، الذي قال عنه ربه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

وقام بحق هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ.. ورثته؛ ليبقى لهذه الأمة خصوصيتها في وجود هذه الثُّلة المباركة من المربين، فوجودهم أمان، وعند فقدهم.. سيُرفع القرآن، قال سيدنا الإمام الحداد:

ولولاهم بين الأنام لدكدكت جبال وأرض لارتكاب الخطيئة

ومن سلَّم لهم زمامه.. خرج عن طبع نفسه، وعن كَيْد الشيطان وجنوده، وعاد إلى خصوصية فطرته التي فطره الله عليها، ثم يترقَّى بعد ذلك إلى مقامات اليقين والقرب من رب العالمين.

فنسأل الله أن ينفعنا بحال وكلام شيوخنا حتى نُرزق الأدب ونُحفظ من العَطَب ونرقى أعلى الرتب في عافية.

خادم الدائرة الدعوية بدار المصطفى

محمد بن عبد الله بن علي العيدروس

❁ تعريف الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: والشيخ: هو الذي اتصلّ سرُّك بسرِّه، وامتلاء قلبُك بتعظيم أمره، وثبت قدمك على اتباع سيره.

وقال سيدي أيضاً: الشيخ: هو الذي يوصلك إلى ملك الملوك من حصر المادة والمظاهر فتتحقق بالتوبة.

❁ حال المريدين مع الشيوخ:

ومما قال سيدي رضي الله عنه أثناء القراءة في كتاب عوارف المعارف:

يتحدث في هذا الباب عن أدب المريدين مع الشيوخ، فإنه باب سندهم، ومفتاح مددهم، شيوخهم إلى زين الوجود، وهو -ﷺ- الموصل إلى الرب الودود، والداخل بالوافدين إلى حماه على وجه الأدب والصدق وحسن الشهود على إلههم المعبود، صلوات الله وسلامه عليه.

ولكن طرف هذا السند وباب هذا المدد.. الشيخ الذي تتلقى عنه، فلهذا كان من أهم الآداب.. أدب المريدين مع الشيوخ؛ لأنه يُترجِم الأدب مع الله والأدب مع رسوله صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم، والأدب مع الوحي المنزل، والأدب مع الشريعة الغراء، والأدب مع المنهاج الإلهي، فلأجل هذا كان من المهام عندهم.

وكانوا يستدلون على نجاح المريد.. بحسن أدبه، ويرون أنه إذا كَمُل منه الأدب.. فلابد أن يرث من سرِّ الاقتراب من الحق والفهم عنه مما حبا الله ذلك الشيخ الحظ والنصيب الأوفر بحسب أدبه.

وقال -أي أبو عبد الله السهروردي-: أن الأصل في هذا الأدب.. ما أدب الله المتلقين الأوائل من الأمة عن سيد المرسلين صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم، خير من تُلُقِّيَ عنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لم يقل: لا تقدموا بين رسول الله، ولكن قال ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾، وهم ما يُقدِّمون بين يدي الله شيء، كيف بايتقدمون في شيء؟! ولكن جُعِل التقدم على رسول الله.. إساءة أدب مع الله سبحانه وتعالى، **فإساءة الأدب مع النبي.. إساءة أدب مع الرب.**

فقال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وذلك لأن بعضهم أراد الاحتياط فتقدم في الصوم قبله قبل رمضان، وبعضهم ضحَّى قبله في يوم العيد، وبعضهم إذا عُرضت المسألة.. خاض فيها قبل أن يتحدث صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم، وبعضهم تلاحوا في مجلسه حتى ارتفعت أصواتهم، فنزل الأدب من الرب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فكانت مجامع الآداب.. تحلَّى بها الأحباب مع سيد الأحباب، وانتشرت في أهل الاقتراب زمناً بعد زمن ووقتاً بعد وقت، وبعد نزول الآيات حصلت الأثر في الصحابة، فمنهم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر صار لا يكاد يُسمع لهما صوت في حضرة رسول الله، حتى أن أحدهما ليسأله أحياناً فلا يدري ما قال من شدة مخافتته بالصوت، فيقول: ((ما قلت؟))، فهكذا كان حالهم.

ومنهم سيدنا ثابت، وسيدنا ثابت كان جهوري الصوت، أي صوته في حد ذاته مرتفع، فلما نزلت الآية.. نازله الخوف الشديد، وقال: ما أظنني إلا قد حبط عملي ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ فنازله من ذلك هَمٌّ شديد فلم يقدر على الخروج من البيت، واعتكف خائفاً.

انظر إلى تأثير الآيات عليهم، وكيفية أحوالهم مع الوحي كيف يكون!!

فما عاد قدر يخرج من البيت حتى افتقده النبي صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم في اليوم الأول والثاني والثالث، فقال: ((من يأتيني بخبر ثابت))، فذهب بعض الصحابة قال: أنا يا رسول الله.

فذهب إلى بيته فنادى: يا آل ثابت، أين ثابت؟ فكلمه أهله قالوا له: هذا هو ثابت أمامك في الغرفة له ثلاثة أيام يقوم إلى الصلاة نصلي معه ولا يكلمنا وهو يبكي محله فادخل عليه.

فدخل عليه فقال: السلام عليكم، فردّ: وعليكم السلام، قال: أرسلني إليك رسول الله، قال: أَنزل فيَّ شيء؟ هل نزل فيَّ شيء من الله تعالى عتاباً؟ قال: لا لا، افتقدك فهو يسأل عنك، ما أخَّرك عنه؟ قال: والله ما هو إلا هذه الآية، وأنت قد عرفتني جهير الصوت وما أظنني إلا أنه قد حبط عملي وأنني من أهل النار، ولهذا ما استطعت لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أخرج من البيت اليوم الأول والثاني والثالث.

رأيت الأثر كيف يكون!! فرجع إلى النبي، وقال له: يقول ثابت كذا كذا، فقال: ((ارجع إليه وقل له: إنه من أهل الجنة))، فجاء إليه وبالبشارة وقال: قال لك رسول الله ﷺ: ((إنك من أهل الجنة)) إنك لست من أهل

النار، فسُرِّي عنه وتماثل للقدرة على القيام فخرج إلى رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال: أنا أسمعكم وأعلم ما في قلوبكم بين يدي النبي، واحد منكم يرفع الصوت وواحد منكم يتقدم عليه في أمر أو في عمل، أنا سميع عليم أمامكم لا تفعلوا هكذا مع حبيبي، لا تفعلوا هكذا مع نبيي صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، إلى آخر ما ذكر.

فما كان لهم أن يتقدموا في صيام ولا في أضحية ولا أن يمشوا أمامه إلا حين يأتي الأمر لهم بالمضي والمشي بعد ذلك كما معروف في غزواته وبعض أحواله عليه الصلاة والسلام. اهـ.

حصول الرابطة:

قال سيدي رضي الله عنه: الرابطة ترجع إلى:

١- صدق المحبة.

٢- والتواضع.

فمن وجدته كذلك.. فالرعاية له عظيمة، من وجدته كذلك.. حظّه في العمل ولا تخاف عليه، ما دام مربوط.. كان مضبوط، وكل ما كان أصفى.. كان الكأس له أوفى.

الانطواء في أهل هذا الميدان.. أحوى لكم، والخدمة بكل المستطاع.. أقوى لكم.

وقال سيدي أيضاً: أما الارتباط بالمشايخ:

١ – فبتعلق القلوب.

٢ – مع الإقتداء.

٣ – والتشبه.

٤ – وإنفاذ الأمر، والمنوب عنه صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم أعظم الخلائق هو الذي يقول لنا: ((من يطع الأمير.. فقد أطاعني، ومن أطاعني.. فقد أطاع الله)) فشيوخنا طاعتهم.. من طاعته، وطاعته.. من طاعة الله تعالى.

كيفية المجالس:

قال سيدي رضي الله عنه: المجالس تكون على حسب ما خصّها بها الأعلى، فلا المجالس سواء، ولا المُجالسين سواء، المَجالس.. من حيث الجليس.

الطريق إلى الحق عن طريق الورثة:

قال سيدي رضي الله عنه: وقديماً قالوا: (**من لا تقرّب لأهل المعرفة.. ما قرب**)، بختنا بالحبيب وقع زين، الله يرزقنا صحة الانتساب، فالذي يقول:

أريد أن أصل إلى الحق ولا دخل لي بالورثة، كمن يقول: أريد دخول الجنة ولا دخل لي برضوان.

إذا نظرنا إلى انتمائنا.. نعرف معنى تعاملنا معه، يجب أن نترفَّع عن جميع الاتجاهات والولاءات لغير الرب، ومن أجله نوالي أنبياءه وأولياءه وملائكته، وإذا صدقنا في ذلك.. ففيه سعادة الدنيا والآخرة.

الحاجة للارتباط:

قال سيدي رضي الله عنه: أمر الارتباط.. يحتاج إليه الجميع، والإدراك لهذا المعنى.. من منّة الوسيع وبركة الشفيع، ومن جدَّ.. وجد.

ما المقصود ذات الأعمال ولا مظاهر ولا أشكال ولا قيل ولا قال، لكن تدركون قربكم من ذي الإفضال وجزيل النوال، وينتشر في مناحي فكركم معنى الاتصال، ويغلب على مطلبكم ذوق الوصال، وينفك عنكم الزهو والاختيال ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وتنزع عنكم مقالع وجذور الغرور، ويسطع في القلوب النور، فتدنوا من حضرة بدر البدور، وتتهيأوا للجمعية في يوم النشور، وتنتهي بمجمع يطلب مثل قولهم: (واجعل لنا في الجنان مجمع)، وهو ما أشار إليه الإمام الحداد بقوله:

يا رب واجمعنا وأحباباً لنا ... في دارك الفردوس أطيب موضع

فإن أمثال هذا الإمام الحداد.. مجامعهم مميّزه، ومراتبهم بتخصيص الكبير الأعلى.. معزّه، فكم من بعيد.. يُقرَّب، وكم من غافل.. يذكّر، وكم من نائم.. يوقظ، وكم من واقف.. يُجرى به، وكم من جاري.. يطار به، وكم من طائر.. يحلّ برج الوصول، وكم من حال.. ينازله البر الوصول بأنواع من التجلّي يضيق عنها المقول ونطاق العقول.

فهم يبحثون عن أهل الأوصاف الزينة، الذين لهم تعلّق قوي؛ لأنهم يريدوا أن يتوّجونهم، بَحْثُهم عنّا وانتباههم منّا.. أكثر من بَحْثِنا وانتباهنا.

تسليم الزمام:

قال سيدي رضي الله عنه: **إنما ينجح ويفلح.. من سَلَّم زمامه لمفلح، ومن لم يسلِّم لمفلح.. كيف يفلح.**

حصول النظر من الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: ويحصل المريد على النظر من شيخه:

١ – بتفانيه بالقيام بالأمر.

٢ – وتنفيذ المهمة.

٣ – وامتلاء قلبه بالمحبة.

٤ – والأخوة والإجلال في الله.

٥ – وأفنى مقصوده ومراده ووجهته.. في مقصود ومراد ووجهة شيخه.

قاعدة: [اكتب وسط قلبك (**كونوا معه**).. بس يكفيك].

❁ تحقق الصدق مع الله:

قال سيدي رضي الله عنه: لا يتحقق الصدق مع الله.. إلاّ بالخفض للمريد بحرف أو بإضافة أو بتبعية، فأما المخفوض بالحرف.. فصاحب العلم، وأما المخفوض بالإضافة.. فالمحب، وأما المخفوض بالتبعية.. فصاحب الإقتداء.

❁ نصرة أهل السرِّ:

قال سيدي رضي الله عنه: فالارتباط بأهل السر نصرتهم:

١ – بالنفس.

٢ – والنفيس.

٣ – وإيثارهم.

٤ – والاقتداء بهم.

❁ كيفية اتِّباع الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: يكون اتِّباع الشيخ:

١ – بصدق الولاء لله.

٢ – وصدق الاتباع.

وكلما كنت أصدق اتباع.. كنت أقوى ارتباط وإن كنت بعيد المسافة، القرب قرب الأرواح.

❁ ربط الأعمال بسلسلة النبوة:

قال سيدي رضي الله عنه: **الأعمال مهما كانت مربوطة بسلسلة النبوّة.. كانت مبروكة**، والقليل عندنا.. لا يقال له قليل، فلا تهولك الكثرة ولا المظهر ولا المادة.

ابحث كيف تكون صلتك.. فتحسن النظر في ذلك وتبذل غاية الوسع، فإذا عملت بذلك.. فأنت الناجح الفالح دنيا وأخرى حسّاً ومعنى.

❁ الأدب مع الشيوخ:

قال سيدي رضي الله عنه: با نتعلَّم الأدب مع شيوخنا، وشيوخنا وشيوخكم أهل الخير، منهم أهل الظاهر وأهل مراتب عُلا وأبو الجميع وأصلهم ومصدرهم سيّد الوجود.

وما أحد وصل من الصحابة إلا لمّا كان النبي أحب إليه من نفسه ومن الماء البارد، وكذلك التابعين من تفانيهم في محبة الصحابة، بل حتى بين الصحابة بعضهم البعض، فابن عباس لا يضرب باب شيخه زيد بن ثابت إلى أن يسّفه التراب.

هذه سلاسل الارتباط بالاتصال الباطني بحبل المحبة.

لا يوجد ارتباط بنور الرسول.. إلاّ بالارتباط بحبل الشيخ.

وقال سيدي أيضاً: فأحسن آداب المريد مع الشيخ.. السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه؛ لما له فيه من الصلاح قولاً وفعلاً.

ولازم الصمت إلا إن سُئلت فقل لا علم عندي وكن بالجهل مستترا

وتكلم عن معاني في قول الله ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لا تطلبوا منزلة أو تحدثكم أنفسكم بمنزلة فوق أو أعلى، أو تظنوا أنكم بشأن من الشؤون أهدى إلى ما هو أصوب من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ومن الأكابر من أصحابه وخيارهم، فقال: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وإن من دقائق المعنى في هذا.. أن يحمي المريدون نفوسهم من أن تحدثهم برتب فوق الشيخ ومنازل فوقه، فإن ذلك علامة الفشل وعلامة أن الله لا يريدهم، فإن الله جل جلاله إنما يقبل المنكسرة قلوبهم، وإنما يقبل المتأدبين مع آياته ومع شعائره ومع عموم خلقه حتى الحيوانات والجمادات عامة ومع خاصتهم خاصة فكيف مع السند إليه، فكيف مع الحبل الموصل إليه.

فمن لم يعطه حقَّه من الأدب.. لم يُحصِّل القربة من الرب جل جلاله وتعالى في علاه.

وهذا من مكائد الشيطان لكثير من الناس يصدهم عن إدراك حقائق الإيمان والقرب من الرحمن بخواطر نفوسهم أنهم أهدى أو أعلم.

ولهذا تجد كل ممن يَخلُف من الناس.. يُحرَم من بركات من سلف ومضى ومن حضر في زمانه من الأكابر بقدر ما يظن أنه أهدى أو أنه أعرف أو أنه أبعد نظراً أو أنه أدق فهماً أو أنه تنبَّه لما لم يتنبهوا له، فبذلك يُحرَم وبذلك لا يَزال في قيد غروره بعقله ومعلوماته حتى تنطمس بصيرته أو يتداركه الرحمن فيتنبه لِغَيِّه، ويرجع عن معتقده الباطل ووهمه الذي كان يغلب عليه، فيخضع ويذل، فيتدارك بعد أن فاته خيرٌ كثير ومددٌ كبير في ماضي أعماره.

وقال سيدي أيضاً: قالوا: **إن من لم يصحب أرباب القرب.. لا يقرب، ومن لم يصحب الواصلين.. لم يصل.**

وقالوا: **من لم يجالس مفلحاً.. فكيف يفلح، ومن لم يرى وجه مفلح.. فكيف يفلح.**

ورَثَوْا بعد ذلك أكثر وتألموا أكبر على حال من تيسَّر له المجالسة للأصفياء والأولياء في زمانه ومكانه ثم حُرِم الأدب معهم، وقالوا: هذا حرمان أكبر، فإن كان حرمان مجالسة الصالحين.. مصيبة، فإن الجلوس

معهم مع فقد الأدب معهم ومع إساءة الأدب بحضرتهم.. حرمان أكبر ومصيبة أعظم والعياذ بالله تعالى.

ألا ترى إلى قول الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾، لكان سبباً لإفاضة الجود عليهم، ووصول الرحمة إليهم، واعتلاء درجاتهم، وصلاح ضمائرهم، وتصفية سرائرهم، وطيِّ المسافة عنهم، وإبعاد الآفة منهم ﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾، لكن ضيعوا هذا كله بعدم صبرهم ورفعهم أصواتهم وندائهم عليك: يا محمد اخرج إلينا، هذا مما علمه الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وكان هذا الحال من وفد بني تميم لما جاؤوا وقالوا: إن مدحنا زين وذمنا شين، قال لهم: هذا الله، فإذا مدح أحد.. سعد وهني بواسع الإفضال وارتقى إلى المراتب العوال، وإذا ذم أحد.. خسئ وطُرد ودُحر ونزل إلى أسفل السافلين، قال هذا هو الله تبارك وتعالى الخافض الرافع المعطي المانع المقدم المؤخر الضار النافع جلَّ جلاله، وهكذا.

ولما كانوا مغرورين بخطيبهم وشاعرهم جاء سيدنا حسان بن ثابت، فما وقع شعرهم شيء أمامه، وجاؤوا شبان المهاجرين والأنصار خطبوا فما

كانت خطابتهم شيء أمامهم، وهكذا تكون نهايات المغترين بما عندهم، مهما كان لهم سابقة خير.. فإنه لا بد أن يَذلَّ الأمر عندهم حتى يرجعون إلى الذل، وإلا بعض من سبقت عليه الشقاوة.. فقد لا يظهر من يغلبه في البداية حتى تَحِقَّ شقاوته ثم يُغلب دنيا وآخرة، والعياذ بالله سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ -أي أبو عبد الله السهروردي- في هذا تأديب للمريد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه، مشيراً إلى أن جميع أدب أهل التصوف إنما أخذوه من الكتاب العزيز والسنة الغراء، وأن العلائق ما بين السند إلى محمد كالعلائق بين الصحب ومحمد صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وأنه إن كان يقول لأهل السَّرايا ((**من يطع الأمير.. فقد أطاعني، ومن عصى الأمير.. فقد عصاني**))، فكيف بسرايا النور إلى حضرة الغفور، إنما يكون أمرهم تبعٌ لأمره صلوات ربي وسلامه عليه عبر الشيوخ المربين فيهم.

وقال سيدي أيضاً: قال بعض المشائخ: **من لم يعظم حرمة من تأدب به.. حرم بركة ذلك الأدب.**

فمهما أخذ من علم أو من أدب مع من لم يراع حرمته.. فإن ذلك الأدب والخلق وذلك العلم لا ينتفع به هو أبداً، ولا يعثر على حقيقة العلم ولا على حقيقة الأدب وإن أخذه؛ لأنه لم يعظم حرمة الذي أخذ منه هذا الأدب وحرمة الذي أخذ منه هذا العلم.

ولهذا قالوا: **من قال لأستاذه لِـمَ.. لا يفلح أبداً**، وأورد لنا الحديث: ((اتركوني ما تركتكم، وإذا حدثتكم.. فخذوا عني، فإنما هلك من كان قبلكم.. بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)).

وقال سيدي أيضاً: قالوا لأبي منصور المغربي: كم صحبت أبا عثمان؟ قال: خدمته لا صحبته، الصحبة مع الإخوان والأقران أما مع واحد أكبر مني وأرفع مني أنا خدمته، رضي الله تعالى عنه.

معالجة استشكال المريد من بعض أحوال الشيخ:

إذا أشكل على المريد شيء -أي في حال الشيخ-.. يذكر قصة موسى مع الخضر، ففي هذا ميزان لا يطغى، وذلك أنه ينهى النفس عن الوسواس وحديث النفس والتهمة بما لا يوقَن فيه ويتعين خروجه عن الشرع، ثم لا يتخذ ذلك حجة للإخلال بأدب من آداب الشرع فضلاً عن واجب أو عن ارتكاب محرم.

وإنما قد تحضر صور لمخالفات لا مخالفة فيها في واقعها البتة، ولا خروج عن الأدب قيد أنملة، ولا قيد شعرة، ومع ذلك فيختبَرون بها اختباراً، ويمتحنون بها امتحاناً، فيكون ذلك كما هو واقع في قصصهم في تابع التابعين ومن بعدهم، وقع كثير من هذه الاختبارات ومن هذه القصص.

فوجب حفظ السر، وحفظ حسن الظن، ووجب مراعاة حق الشريعة الغراء فهي الحاكمة على أهل الظاهر وأهل الباطن كذلك، لكن من دون شطح لظاهر ومن دون رميٍ من صاحب باطن.

وقال سيدي أيضاً: ولما رأى المعارضة سيدنا الجنيد من بعض من يجلس معه، قال: إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون، إنما أردتُّم الوصل والاتصال بهذه المعاني، فأعطوها حقها وقوموا بواجبها، وإلا فالأرض واسعة لكم، مَن الذي ألزمكم تجيؤون إلى عندنا.

وصف المريد عند الشيخ:

وقال سيدي أيضاً: وصف المريد والطالب عند الشيخ.. التبتل للخدمة، والتهيؤ لإفاضة النعمة، فلا يليق به أن يجلس على فرش مخصوص أو على سجادة بحضرة الشيخ.

قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: أن لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة؛ فإن المريد من شأنه التبتل للخدمة، وفي السجادة إيماء إلى الاستراحة والتعزز؛ ومراده بالتعزز الإعراض عما حواليه، وإنما هذا يليق بحال الذاكر في خلوته أو في وقت حضوره مع خلوٍّ جنابه من مطلوب خدمة وأداء مهمة تتعلق بالتلقي أو الترقي أو المراقبة لأحوال الشيخ.

وراقب الشيخ في أحواله فعسى يرى عليك من استحسانه أثراً

فعلمتَ ذلك من أحوال سادتنا الصحب رضي الله تعالى عنهم أمام المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، ثم أحوال صغار الصحابة مع كبارهم وكلهم كبير، ومتأخِّروا الصحابة مع سابقيهم وكلهم سابق عليهم رضوان الله تبارك وتعالى، ثم عُرف ذلك في شأن التابعين وتابع التابعين، حتى صار من خلال ذكرهم في غيبتهم يشعر من حواليهم بمعنى الإكبار والإجلال.

الصدق مع الشيوخ:

قال سيدي رضي الله عنه: لماذا نريد الصدق مع الشيوخ؛ لأنهم بابنا إلى الله، ولهذا نطلب ذلك:

١- بحسن التوبة.

٢- والإقلاع عن المعاصي والآثام؛ لأن الذي لا يحبه الله هم ما يحبونه.

وقال سيدي أيضاً: ما هو شيخ الذي لا يكره ما يكرهه الله، وكيف أنت تُصِر على شيء يكرهه الله وتقول: هذا شيخي.

التجلي على الخلق بالخلق:

قال سيدي رضي الله عنه: قد علمتم حكمة الحق في إرسال الرسل وإنزال الكتب وفي ترتيب حتى الملائكة، إنما يتجلّى على الخلق بالخلق هذا سر حمل اللواء في القيامة.

كذلكم ما لحظة مرّت من بعد أن فارق حبيب الله العالم إلاّ وورّاثه أساس إمداد الخلق، وهم في ذلك على مراتب ينتهون إلى قطب الزمان وكامل الخلافة في الشأن.

ما أعجب مراتبهم، على هذا مضى رجال الأمة إلى ليلتكم هذه التي أنتم فيها فيجب أن تدركوا.

علاج من يظن أنه يدري وهو لا يدري:

قال سيدي رضي الله عنه: نحن نكثر الإشارة في كثير من الكلام والتنبيه، ولكن بعض كلاليب الناس هذه تحجبهم يظن أنه عرف العبارة لكنه ما ترقى، وما دلالة العبارة إن لم يترقَّ بها، لا بد من معرفة معنى الترقي.

من كان صاحب انتساب أو يظن أنه صاحب انكسار نقول له: الانكسار ترقي فلماذا وقفت؟ أو يظن أنه صاحب تسليم فنقول: التسليم زيادة لماذا وقفت؟ هذا أمر خطير أن يظن الإنسان أنه أدرك.

ميداننا هذا.. ميدان الفقر، لا يسلك فيه إلاّ من اتصف بالفقر، لا تَرُد ما عندهم بما عندك إذا أشاروا، فلا تجعل فكرك يحجبك.

فإن تركت ما عندك.. أعطوك ما عندهم، وإن تشبّثت بما عندك.. حجبت به، المرء من حيث قلبه.

لهذا قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم: **(واجعل وقوفك ما بقيت بيانا).**

أوسع أبواب الرحمة:

قال سيدي رضي الله عنه: ولهذا كان من **أوسع أبواب الرحمة.. الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم، فيتخيّلوا صورته الشريفة أو يتخيل صورة شيخه المنسوب إليه ورجال الحق.**

مهما كان الواحد في أي درجة وأردت أن تدخل عليه من غير الباب.. ما يقبلك، حتى النبي صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم لا يقبلك من غير

أدبك ووقوفك على أبوابه؛ لأنه ترتيب الحق كذا، أنت تريد تتعدى الحقوق وتصل، هل هذه ضحكه؟!

هذه عبودية لله ما نطلب الأشياء من حيث المنع، ولا نطلب المنع من حيث أعطى، أو عطاء من حيث مَنَعَ.

وجود المداوون من عهد النبي ﷺ، مع ذكر أوصاف المريدين:

قال سيدي رضي الله عنه: ما أُعدم المداوون من يوم جاء الحبيب محمد صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم، ما حصَّلْنا جفا، حصَّلْنا شيوخ يدلّعونا عليهم رضوان الله، ولله في البرية جنود اختارهم هو، و لا هو سهل الدخول في جندية للرب.

هيّأ لكم أسباب عظيمة على مدى العصور، ما أحد يجد مثلها كما كان المريدين يُختبرون ويبتلون ابتلاء، فتهيأت هكذا لنا الأسباب فعلينا ننتبه، نعرف معنى الترقي وزيادته، لا تقنع بحالك، لا تجعل الركب يمشي وأنت قاعد.

الله يوفقنا وإياكم، ما نقف عند شيء من أعمالنا وعقولنا وأحوالنا أبداً إن شاء الله، فتحيط بنا العناية ونتخلص من القيد والحصر بعد ذلك إلى

الأوج الفسيح، نريد الملبي المجيب والصادق المستجيب وربنا أقرب قريب.

وقال سيدي أيضاً: الحمد لله الذي أكرمنا بشيوخ حنان ورحمه خالصة، وإلا لو امتحنونا كان يا ستّار، الحبيب أحمد بن حسن العطاس يقول: نأتي على باب الحبيب أبي بكر العطاس فيتركنا من الصبح إلى الظهر وهو يعلم بي في الشمس ولا يكلمنا حتى يفتح لي بعد ذلك، ولكن لا أنصرف، والآن إذا جاء ودق الباب على دارنا وما أحد كلّمه ذهب، أصلاً هو يريد العذر، فيقول: ما أحد كلمنا، ما حصلت أحد.

العزائم.. تختلف، والهمم.. تختلف، والمقاصد.. تختلف، والرعاية بالصادق.. تكتنف، وروح المقبل.. تعترف.

فإن قالوا: انصرف، قال: إن أحمد اسم لا ينصرف، فإن قال: أنا شاعر أصرف ما لا ينصرف، قيل له: صرفك يحول النحاس ذهباً فتصرّف كما شئت، فقد علِمنا شغل الصيارفة، يا الله بالتوفيق حتى نفيق ونلحق بالفريق.

وقال سيدي أيضاً: وهكذا جاء أيضاً الإمام علي بن عبد الله السقاف إلى شيخه عبد الله بن علي العيدروس في الهند لما كان في الهند، فقال: اتركوه

على الباب، وتركوه، ودخل الناس يؤذن لواحد بعد الثاني وهو على الباب حتى تكامل الناس وجلسوا، وطاب مجلسهم، وهو على الباب، وقُدِّم لهم الغداء وتغدَّوا، وهو على الباب واقف لا ينصرف ولا يتحرك.

فقال بعد الغداء: انظروا هل هذا السيد لا يزال على الباب أو ذهب؟ رجعوا فقالوا: واقف على الباب كحاله من حين جاء، قال: خذوا هذا الغسل حق أيدي الناس وصبوه فوق رأسه، وأخذوا الغُسالة التي غسلوا بها الناس صبوها فوق رأسه، ولما وصلت قال: هذا أثر من آثار بيت شيخي فأخذ يتمسح به، ماذا قال؟ قالوا: قال: بركات شيخي وتمسح بها، قال: افتحوا له الباب، ففتحوا الباب وانزاح الحجاب وارتفعت الرتب وحصل القربة مع من قرب وأُكرم بنظرة خرج فيها وهو من أهل الحضرة، لما تكامل صدقه وحَقَّ سبقه ولم يتأثر من هذا.

وهكذا كم اختبروا الشيوخ تلامذتهم بمثل ذلك، قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس: والآن إذا جاء واحد ودق الباب قليل أو نادى ولا أحد سمعه ذهب؛ لكونه يريد العذر وما له رغبة ولا له صدق في الوجهة.

وهكذا قال: كان بعض مشائخ مكة كذلك، ثم قال له: إنما جئت ومعك شَمْخَة عَلَوية فوق رأسك، فلما نزَّلتها.. فتحنا لك.

وهكذا جاء بعضهم لطلب العلم أيضاً من الحبيب عبد الرحمن المشهور، فيقول: قبل القراءة أو الدرس أول اذهب هات الحاجة الفلانية من السوق، اشتر لنا كذا وكذا -ومن جملته- وهات لخم، فيقول: مرحباً عندكم وعاء أو زنبيل، فيقول: وعاء وزنبيل!! ماذا بكمّك؟! كمّك كبير يصلح فيه تحطه في الكم حقك، فخرج وجاء وأحضر الحاجة وجابها، والزائد حَطَّهُ في كمِّه، قال: الآن اجلس، ستقرأ لا بأس، بدأت تتهيأ وتصلح للقراءة، سبحان الله!!

قال ابن عباس: كان يقف على باب شيخه سيدنا زيد بن ثابت عليهم رضوان الله الساعة والساعتين والثلاث والأربع الساعات قد يقف من أول النهار إلى الظهر على باب شيخه، لا يرضى أن يطرق الباب خشية أن يزعجه ولا يريد أن ينصرف، حتى قد تهب الريح بالغبار فيمتلئ غباراً إلى حدّ أن لا يُميَّز في بعض الأحيان، فيمر المار لا يعرف مَن هذا مِن كثرة الغبار الذي عليه وهو لا يريد أن ينصرف، حتى شَعُر به زيد وقال: يا ابن عباس إني أستحي من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقرابتك منه، فلا تأتي إلى الباب ولكن أشعرني من قبل أن تجيء، ولم يزل بهذا الحال.

❁ من علامات الجمعية على الحق تعالى:

قال سيدي رضي الله عنه: فإذا تمَّ هذا.. أُكرمت بالجمعية.

من عادة الحق إذا أراد يجمع عليه أحد.. جمعه على محبوب، فيهيئه الجمع على ذلك المحبوب.. بالاجتماع بالإمام الأعظم، فإذا تمَّ الاجتماع عليه.. وصل إلى باريه.

وإذا ما أراد يجمع إنسان عليه.. فلا يغرُّك ما يكرره من كلام ولا ما يفعله من أفعال، فلن يصل ولو ملأ الأرض عبادة.

❁ القرب على قدر الانطواء:

قال سيدي رضي الله عنه: الصحب الكرام اعلم أن مراتبهم.. على قدر انطوائهم في محمد، غير هذا لا يوجد، من أين أحدهم سيأتي بالقرب؟! واستمرت لمن بعدهم، فقربه.. **على قدر انطوائه في شيخه** إلى ليلتنا هذه.

كثير من الناس تخيّلوا خيالات والانطواء لا يوجد، هل يمكن ترتفع بك الطائرة وأنت ما دخلت وسطها؟! جالس في الخارج وتقول: أنا سأطير بالطائرة.

إن شاء الله ننطوي، قال الحبيب علي: **(اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاة ترضيك وترضيه وتنطوي جميع حركاتي وسكناتي فيه)**.

محبة الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: الذين يعتقدون في الشيوخ كثير والذين يحبونهم قليل، المحبة لا بمجرد الميل ولا بمجرد التعظيم.

وتأتي المحبة من انغراس معنى إدراك أنه منّة من الله، وأنه الباب إليه، فتصير المحبة فيها معنى راقي سامي ترجع إلى الجزء من محبة الذات العلية؛ لأن محبة الذات العلية يترتب عليها ولأجلها.

والعجب جاء التعبير في الأحاديث القدسية والنبوية (بفيَّ)، أنه يحبه في الله، من زار أخاً في الله، وجبت محبتي للمتحابين فيَّ.

الشجرة النبوية:

قال سيدي رضي الله عنه: شجرة سيدنا موسى الكليم.. من نوع النباتات، وعندنا أشجار محمد وهي ليست من نوع النباتات، بل نوع الإنسان نفسه، فجدير بأن تكون مرآة للتجلي، (اللهم صلِّ على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية).

❁ إتمام الأمور في مجالنا:

قال سيدي رضي الله عنه: تتم الأمور في مجالنا:

١ - بانضباط من جهة الولاء الخالص لله بالإيمان.

٢ - ويؤخذ الأمر عن عقيدة.

٣- ومع تدرّج بمعنى العقلية والحكمة بشيء من الوضوح أن عندنا هَمْ بجانب الأخلاق والسير والطريق والعلم.

على حسب إيمانهم.. يحصل لهم الثبات، ويطلعون في الانتخابات، ويرتضون من الرب، ويقعون من جنده.

❁ أوصاف المتنبِّه:

قال سيدي رضي الله عنه: كل متنبّه شعر أن عليه واجب، عليه مسؤولية، وأن عليه دعوة، وأن له صله بالنور المحمدي له رابطة جزئية فيه، له هَمٌّ به، له أمر يهمه يأخذ بمجامع قلبه.

هذا العمل جعله الله للأنبياء ولأتباعهم المؤمنين فقط، ووكلها إلينا.

الحمد لله الذي وكل إلينا أعمال حبيبه المجتبى، ثم تكرّم علينا وعليكم بأن جعل سندنا إليه والحبال التي تربطنا به من أقوى وأوسع الحبال

والأسانيد، كبار عن كبار، يخرج الواحد منا بوسخه وما فيه من عيوب.. فيطلع في السجل تبع الأقطاب الكبار.

❁ النسبة إلى حبيب الرحمن:

قال سيدي رضي الله عنه: النسبة إلى حبيب الرحمن الذي جاءت به الرسالة.. نسبة قلبية ونسبة روحية، مع أهل دائرة الاستجابة لهذه الرسالة السماوية المتمثلة في الحضرة المحمدية، وكانت نسبة هذه الاستجابة نسبة بينهم وبين رب الأرض والسماء يعلي لهم بها الشأن هنا وهناك فضلاً وكرماً.

وهذه النسبة مع كل مؤمن من المؤمنين من أهل الأرض والسماء.. تميزت واختلفت، فكان أشرف النسب.. نسبة المنطويين في دائرة سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم من خصوص أمته، فكانت لهم بهذه الخصوصية تَـمَيُّز عن الأمم السابقة، وتَـمَيُّز عمن قبلهم من أنواع الخلائق الذين كانت معهم نسبة التوحيد ونسبة الإيمان بالملك المجيد.

غير أننا معشر الأمة كان لنسبتنا قوة من حيث انتماءنا لخاتم النبوة صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم، فالحمد لله على هذه الميزة وهذه الخصوصية.

❁ الوصول إلى الأولياء:

قال سيدي رضي الله عنه: كثير من الناس جالسوا الأولياء ولا وصلوا إليهم، وكثير عرفوهم ووصلوا إليهم، وكثير ممن جمع بين المقامين، وأخذ بالطرفين، ونال السعادتين، وحضر بالجسم والقلب، وقرب بالشبح والروح، ونظر بالبصر والبصيرة، **فعُرِّف.. فعرف، وأوصل.. فوصل، وبعد ذلك عن حاله.. فلا تسل،** فإنه (لا يعرف الشوق.. إلا من يكابده، ولا الصبابة.. إلا من يعانيها).

فإنّ وصف ذلك الحال لمن لم يبلغه.. كوصف المحالات عند بعض العقول التي تفكر فيها فلا تتصور وجودها، وهي أيضاً كمن يصف شؤون السلطة وملذة الملك لصبي غير مميز.

سبحانه فاتح أبواب جوده لمن استسداه، فله الحمد سبحانه وتعالى!!

❁ سلسلة المجالس:

قال سيدي رضي الله عنه: إنّ مجالسنا هذه.. إنما هي سلسلة من تلك السلاسل، جعلها الله حلقة محكمة مربوطة بأولئك القوم، وحقائق ما في المجلس.. إنما كان معدنها تلك المجالس، ومعدنها.. ذلكم الجالس بين

أظهرهم، وهو الجالس بروحه بين أحبابه حيثما كانوا وأينما كانوا، وهي الروح التي ما شهدت الأكوان أوسع منها، ولا أكرم منها، ولا أظهر منها، ولا أبرك منها روح محمد المختار صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله.

استشعار النيابة بالذوق والترجمة:

قال سيدي رضي الله عنه: مجال استشعار النيابة عندكم.. بالذوق والترجمة، أما استشعاره بالذوق.. ينهي علل القلب، واستشعاره بالترجمة.. ينهي علل الأعمال.

ولولا الفوائد الكبرى في شأن الارتباط بالنيابة الذوقي والعملي، والمترجم عنه بما قال صلَّى الله عليه وسلَّم ((**بلِّغوا عني ولو آية**)).. لما دعينا إليه.

لذا أي وقت تريد أن تبلغ.. يكون لك حبل موصل إلى النبي، وباب يدخلك عليه، فتبلغ بلاغاً صحيحاً عنه، وإن جئت معك عقل أو فكر أو نفس.. فهذه ليست بأبواب تدخلك عليه، وليست بأبواب توصلك إليه.

إذا انقطعت النيابة.. حلّت العلل في القلب والعلل في العمل.

فلهذا كان من نعمة الله.. الارتباط بالسند وربط الحبال، فيبلِّغ المبلِّغ ومعه رابطة، ومعه باب، ومعه حبل، فيستشعر هذه النيابة.

يستشعرها بالذوق.. فيذهب عنه العجب والغرور، ويربو بقلبه عن أن يحسد أو يحقد أو يلتفت إلى الدنايا، ويستشعرها ويترجمها في حسن أعماله.. بما يصلحها وينقيها عن الخلل.

باستشعار النيابة ذوقاً.. تذهب علل القلوب.

وباستشعار النيابة ترجمة.. تذهب علل الأعمال.

ومن كان ينوب عن حبال النيابة المتصلة بالنبوة.. فليتق الله في ذوقه وترجمته، وهو بذلك مهما صَدَقَ.. يتهيأ إلى شيء كبير، وتتلاشى منه أوصاف الإهمال والإغفال والتكاسل وركون النفس، فالنفس تركن إلى الراحة وإلى الدعة وإلى الالتفات إلى شهواتها وما إلى ذلك.

❁ جوانب التفكير والتشمير، والتنبيه للدعاة:

قال سيدي رضي الله عنه: نحتاج إلى كثير من التفكير والتشمير في جانب:

١ – الفهم عن اللطيف الخبير.

٢ – وارتقاء درجات القرب إليه.

٣ – والتحبب لديه.

٤ – والوقوف على الباب.

٥ – وطرق الأبواب على وجهها.

٦ – واختيار الأوسع منها.

من أجل أن يتنبه الدعاة إلى:

١ – قوة الجهد في تصفية البواطن، وتنقية السرائر.

٢ – وتقويم الصفات فيهم، بحيث يطلبون الرقي بعد ذلك في كل أيامهم ولياليهم، بحيث لا يغفلون عنه فيأخذون عدته، وهي الانطواء في المشايخ.

٣– وتعلّم إنكار الذات التي تتطهر وتتنظف وتتزكى وتُرتضى، وأنه دون إنكارها.. لا يصح تسليمها ما دامت ذاتك معك موجودة.

فإن كنت تعرف أن تطهِّر.. طهِّرها، لكن إذا سلمتها.. فالمسلَّمة أولى بتطهيرها وتنقيتها.

كالذي يقف على المنظِّف والمغسِّل ويقول له: هذه ثيابي أريد منك غَسْلها، ويمشي بها معه، أو يكون لابساً لها ولا يريد إخراجها، ويمر كل يوم على المغسِّل ويقول له: غسِّل ثيابي، يقول له المغسِّل: هل أنت تستهزئ؟ فماذا الآن أنت لابس؟ إذا أردت مني غَسْلها بصدق.. فأعطني ملابسك، فمعنا المغاسل التي تنظف، سننظفها لك، بل وسنكويها بعد ذلك، وهكذا.

❁ شأن الإقدام والاستسلام:

قال سيدي رضي الله عنه: لا بد من إقدام واستسلام.

فصاحب الإقدام بلا استسلام.. أمره إلى انهدام.

وصاحب الاستسلام بلا إقدام.. يفوّت المرام.

فلا بد من استسلام وإقدام، بحيث تعمل وتجتهد وتبذل وتفكر وتضع الرأي.. وأنت مستسلم راضٍ مطمئن منقاد، فهناك النجح.

❁ كيفية الرابطة بالنبي ﷺ:

قال سيدي رضي الله عنه: إنما تنضبط أمور الناس.. بحسب هذه الروابط.

الرابطة بنبيه ورسوله.. لا تأتي بدون رابطة بخلفائه.

فأهل كل زمان منهجهم إلى الارتباط بالمصطفى.. خلفاء زمانهم، كذلك رتَّب الله.

❁ أوصاف المرتبط:

قال سيدي رضي الله عنه: تجد المرتبط.. أمره منضبط، القليل منه.. يفوق الكثير من غيره، اليسير منه.. يتبارك ويحصل به الأثر.

❁ أوصاف ضعيف الصلة:

قال سيدي رضي الله عنه: ضعيف الصلة.. مثل الذي يباهي ويفتخر بالصور بلا حقائق، تَخيُّل الاستقلال أو الاستغناء وتصديق الوسواس.. بأنه غير محتاج، وتصديق الناس في مدحهم له.

هذه عامةُ القواطع وهي راجعة إلى رؤية النفس -أي يرى نفسه- فإذا انقطع عن وجهة الشيخ وهمّة الشيخ ومسلك الشيخ.. كان ذلك سبب القطيعة عنه.

الحبيب صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم قال للمبلِّغين: ((**بلغوا عني**)) أي بلا انقطاع، الله يقوي روابطنا وإياكم ومن يحب لما يحب على ما يحب حتى يجعلنا فيمن يحب.

❁ النفع على حسب الارتباط:

قال سيدي رضي الله عنه: من غير أي شك أن أي فرد من أيامه صلَّى الله عليه وصحبه وسلَّم.. نفعه على حسب ارتباطه، وغير هذا ما حصل ولن يحصل، وغير هذا لا يوجد، وباقي هذه صور الاجتهادات.. صور تقام، إن وجدت فيها الروابط.. أثَّرت، وإن لم توجد.. لم تؤثِّر.

الآن الحث والبحث عن أرباب القلوب نريدهم يتوفرون وبقية الأسباب آتية على رغم أنفها، ولكن نريد عمارة الدرجات العلى.

مراقبة المريد لحال الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: حق هذا الاتصال من الشيخ الذي هو باب السند إلى سيدنا محمد المستند صلوات ربي وسلامه عليه، قال: فيكون كقاعد على ساحل بحر ينتظر رزقاً يساق إليه، فكلما تنبه للاستفادة والاستزادة من لمحات الشيخ ومن حركاته ومن سكونه ومن هيئته ومن أحواله ومن مقاله، فكلما تطلع إلى الاستفادة والاستزادة من ذلك.. كانت له ملامح الشيخ ونظراته وحركاته وكلماته كؤوساً يشربها في المعاني، تبتني عليها شريفات المباني، ويُحفظ بواسطتها من شر القاطع الخائن الكاذب الشاني، ومن شر الشيطان ومن شر نفسه.

فتطلعه إلى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ -مشيراً إلى أن الكلام مفتاح من المفاتيح- إذا استلمه من فَهِمه.. انفتح به عليه باب حكمة ومعرفة وإدراك وذوق ونورانية وحال ووجد واطلاع وارتفاع واتساع من خلال هذه الكلمات، فتصير أيضاً بَذراً في أرض القلب، فإذا سقيت بحسن الأدب والتأمل.. أثمرت.

ومنها ما تستمر ثمرته وقتاً بعد وقت شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، ولا يزال يستثمر بذرة كلمة غرسها الشيخ في قلبه قبل عشر سنين أو قبل عشرين سنة أو قبل أقل أو أكثر.

فتطلعه إلى الاستماع طالباً الانتفاع مستجيباً منيباً ملبياً، وما يرزق من طريق كلام الشيخ.. يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله.

وقال سيدي أيضاً: ومن ذلك عند السماع لا ينساق وراء المعنى الذي يطرقه من السماع مع وجود الشيخ إلا إن غُلِب في ذلك وصار الأمر خارجاً عن إرادته، لا بتكلف منه ولا باختيار، فهو في هذه الحالة معذور.

أما ما دام يجد معناً من الاختيار والقدرة.. فلا ينساق مع معاني السماع ولا غيره بالطرب والتحرك، قال لماذا؟ قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: لأن استغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق سبحانه وتعالى على الشيخ.. أنجع له في طُهر باطنه، وفي تقريب الطريق له، وفي إدراكه المأمول من رضوان ربه، وأنجع له من الإصغاء إلى السماع والاسترسال مع المعاني مهما رقَّت وراقت، ومهما طابت له.

فإن اتصاله بما أشار إليه من الاستغراق في الشيخ والنظر إليه ومطالعة موارد فضله عليه.. اتصال ذات بذات، وتعلق في أسمى معاني التعلقات،

فأين يأتي منه التعلق بالصفات؟! والتطلع إلى المقامات بالمحاولات من الاجتهادات؟!

لأنه عند حسن هذه المقابلة والصلة الباطنة ووجود معنى مما أشار إليه من المجانسة والجنسية للشيخ.. يكون سراية الإمداد من أحوال الشيخ إلى المريد وإلى المتلقي.

ولكنها ما لم تجد المناسبة والمجانسة وحسن القابلية وذلك الخضوع والتواضع الذي يمثل انخفاض المكان الذي يجري فيه السيل فينساق إليه ويمتلئ بالسيل الذي يسيل بحسب انخفاضه شيئاً فشيئاً، فإذا لم يكن ذلك.. حُرم كثيراً من إفاضة الله.

فما يجده مِن تأمُّلِه هو للمعاني.. ما يساوي ما يجده من إفاضة الحال عند مقابلة الذات للذات، فذلك فيه معنى رفيع من الجود الوسيع، فهكذا قال: لا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ، إلا أن يخرج عن حد التمييز، فهو معذور في ذلك.

قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: **وهيبة الشيخ عن المريد الصادق.. تمنعه عن الاسترسال في السماع وتُقيِّده**، كما قيدته عن استعمال السجادة..

تقيده عن أنواع أخر كذلك من الالتفاتات إلى الأشياء ولو كانت عَليَّة عند وجود ما هو أعلى وما هو به أولى.

فإن الكمال.. أن تشتغل بما هو أولى لك وأفضل، لا أن تشتغل بكامل وفاضل، ولكن بما هو أكمل وبما هو أفضل، هذا هو الكمال.

ولذا أشار بعض شيباننا ورجالنا إلى بعض المتلقين والمريدين يقول له: يا فلان هل قرأت على والدك هذا أو عمك أو شيخك الفلاني؟ فيقول: قرأت كذا كذا كتب، فيقول له: لا، أريدك تقرأه هو، لم أقصد قراءة الكتب، أريدك تقرأه بنفسه، اقرأ الشيخ، فهذا كتاب أكبر وكتاب أنور، وفيه الأثر الأعظم، وهكذا.

قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: **استغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه.. أنجع له من الإصغاء إلى السماع.**

سؤال المريد للشيخ، وكون الشيخ مستنطق نطقه بالحق:

قال سيدي رضي الله عنه: وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ، ولكن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ، بل بحسب صدقه يكون مورد إشارة الشيخ وقوله وإفادته متناسباً مع ما يحتاج إليه هذا المريد وهذا السامع.

وربما نطق -أي الشيخ- بالكلمة الواحدة أو حكى المعنى الواحد أو القصة الواحدة.. فانطوت على معانٍ مختلفة تناسب أحوال المتلقين عنه كل واحد منهم على حدة، فيها ما ينقذه ويرشده أو يكشف له عن وضعه وحاله في معاملته أو يُبيِّن له مبهماً عليه في أمر السير، على حسب صدقهم في التلقي، وحسن تنبههم لما له الشيخ يلقي.

وذلك لأن الشيخ يكون مستنطَقاً نطقه بالحق ((فبي ينطق)) يقول الله تبارك وتعالى، فيصير الحال إفاضة الرحمن على طالبي التدان، مرسلة من حضرة الامتنان بواسطة أكرم إنسان إلى لسان الشيخ الحاضر في الآن، وإذا بالحقيقة خطاب من الرحمن يخاطب به طالب قربه وطالب رضاه جاء بهذه الوسائط؛ ليُهيِّئ المتلقي للترقي والجلوس على البسائط.

الشيخ أمين إلهام المريد، واقتداء الشيخ برسول الله ﷺ:

قال سيدي رضي الله عنه: الشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي، وكما لا يخون سيدنا جبريل في الوحي.. ما يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن سيدنا المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم الموروث الذي هو الداعي على الحقيقة والمزكي على الحقيقة والمبيِّن على الحقيقة والمرشد على الحقيقة ومن عدى من أهل التبيين من النبيين فمن دونهم.. نوّاب عنه،

ومستمدون منه، فالمبيِّن رسول الله ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ تعرف للناس؟! ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ كل واحد من الناس استبان شيئاً من معنى التنزيل فمن هذا المبيِّن؟! ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقتدٍ برسول الله ظاهراً وباطناً لا يتكلم بهوى النفس، وهوى النفس بالقول بشيئين: طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إليه، وما هذا من شأن الشيوخ، ولكنه من شأن الملطخين الموسخين الذين يحبون التفات الأنظار إليهم واستجلاب القلوب إليهم؛ لتعظيمهم أو للثناء عليهم، هذا شأن الملطخين الموسخين، ما هو شأن الشيوخ.

والثاني: ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب بذلك، وهذا خيانة عند المحققين.

❁ نظر المريد إلى الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: **وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ.. ما لا يستطيع المريد أن يشبع النظر إلى الشيخ.**

وهذا الذي نازل جماعة من الصحابة لا يحدون النظر إليه تعظيماً له، حتى يقول قائلهم من سادتنا الصحابة: جالسته وسافرتُ معه وآكلته

وشاربته ولزمته كذا كذا سنة، ولو طَلَب مني الواصف أن أصفه.. ما استطعت؛ لأني ما كنت أُثبِّت نظري فيه.

ولهذا حتى قال أهل السيرة: إن الدقة في الأوصاف الخلقية لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنما وردت إلينا من قبل اثنين، مِن قِبَل أعرابٍ أو أطفال، هم الذين كانوا يدققون نظرهم والذين نقلوا إلينا، أما عامة الصحابة فللإجلال والإكبار.. ما كانوا يدققون في هذا أدباً وتعظيماً، ولهذا ما كانوا يصفونه.

أحوال تحصل بين المريد والشيخ:

ويقول الشيخ -أي أبو عبد الله السهروردي- أنه كان يُحَمُّ أو تنازله الحمى، فيدخل عليَّ عمي الشيخ أبو النجيب السهروردي، فيرشح جلدي عرقاً، وكنت أحب العرق من أجل تخف الحمى، لكن أجد هذا عند دخول الشيخ عليَّ، فيكون في قدومه بركة وشفاء، فيعرق من هيبته للشيخ فيذهب عنه الحمى.

وهكذا في ذكر الأدب حتى ما بين الأقران بل ما بين التلامذة والمشائخ، والمشائخ والتلامذة، إذ مرض سيدنا أحمد ابن حنبل فجاء يعوده، فشفى

الله الإمام أحمد بن حنبل ومرض الشافعي فجاء الإمام أحمد يعوده فشفاه الله، فقال سيدنا الإمام الشافعي بيتيه المشهورين:

مرض الحبيب فعدته فمرضتُ من أسفي عليه

فأتى الحبيب يعودني فبرئتُ من نظري إليه

هكذا الآداب حتى مع التلميذ فكيف مع الشيخ؟! هذا الإمام الشافعي مع تلميذه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم، هؤلاء حاملين الآداب وحاملين العواطف الكريمة والمشاعر العالية الراقية.

فيقول -أي أبو عبد الله السهروردي-: إني كنت ذات يوم في البيت ومعي منديل أعطانيها الشيخ، وكان الشيخ يجعله على رأسه، فمن غير قصد وقع قدمي على المنديل فتألم باطني من ذلك وهالني وَطْئي بالقدم على منديل الشيخ، قال: وانبعث من باطني الاحترام للشيخ ما أرجو بركته، كانت سبب لأن ينبعث فيه معنى من الإكبار والاحترام لم يكن قبل ذلك.

وهكذا كان بعض الصحابة يمشي مع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: فجعلت أتحرز أن يطأ قدمي ظله، يخاف أن يطأ برجله على مكان فيه ظل النبي، فلما زاد مشهد بعض الصحابة لنوره عليه الصلاة والسلام صار

يشاهد من النور ما يغطي نور الشمس قال: فجعلت لا أجد له ظلاً، أمشي أنا وإياه في الشمس ما أجد الظلال حقه، ظلالي موجود، وظل الأشياء موجود، لكن ظل الرسول لا يوجد، فهكذا كان بعض الصحابة، بينما يشهد البعض ظله فيحترز عن وطء القدم لمكان الظل.

رأيت أدب الصحابة؟! أو هم هؤلاء مبالغين؟! أو هم صوفية كبار؟! أو أنت أعرف منهم؟! أو أنت أحسن عقلاً منهم؟! اللهم ارض عنهم وارزقنا حسن متابعتهم.

تعامل الشيخ مع بعض المريدين:

قال سيدي رضي الله عنه: أن الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه إذا جاء إليه فقير زائر فيُخبَر بالفقير.. فيَخرج يفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلّم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته، وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء.. يخرج إليه ويجلس معه.

فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار؛ لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لغير الفقير، فقال له الشيخ: الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية، وهو أهلٌ ليس عنده أجنبية، يكتفي معه بموافقة القلب ويقنع بها من ملاقاة الظاهر بهذا القدر، وينقدح في قلبه السر، ويصل إليه النور، ويرتقي في الدرجة في هذه

اللحظة الذي نصافحه فيها، وأما الثاني فمسكين ما عنده مثل هذا، ما زال مع العادات والظواهر، يستوحش باطنه من عدم الأخذ بخاطره ومن عدم الجلوس معه.

فحق المريد.. عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ.

قوة استمداد المريد من الشيخ:

قال سيدي رضي الله عنه: وقد سافر بعضهم للقاء الحبيب علي الحبشي وقطع المسافات وتنقل من بلد إلى بلد بمراحل طويلة حتى وصل إلى سيؤون، فجاء إلى مسجده مسجد الرياض، فسأل: أين الحبيب علي؟ قالوا: بعد قليل يخرج إلى الصلاة، فلم يصبر وذهب ووقف على الباب، فخرج الحبيب علي، فسلَّم عليه ونظر إليه وودعه ومشى وسافر.

قال بعضهم: عجيب الرجل، له في طلبك مدة يمشي من مكان إلى مكان، حتى وقف لحظة ورآك وسافر ولم يجلس، قال: في هذه اللحظة حصَّل مطالبه كلها وزيادة، وبلغ مراده من الزيارة؛ لصدقه في الوجهة.

❁ إخبار المريد للشيخ مما يحجبه في سيره:

قال سيدي رضي الله عنه: فيما يتعلق أيضاً بالتربية والسير سواء بما يتعلق بحجب الأنوار، كلما ذكر ذلك عند الشيخ.. كان أمكن؛ لإمداده بالتربية في مساره في الأنوار، وكل ما كان من حجب الأغيار وحجب الظلمات.. كذلك، كلما اطلع عليه الشيخ من أحوال المريد.. كان أصلح له وأنجح في أن يتخلص من ظلماته وآفاته تلك.

وما لم يذكر.. فقد يُطلع الله الشيخ على شيء منه، ولكن ليس النجاعة والتأثير فيما تعرَّض هو لذكره كما جاء من طريق إطلاعه الحق عليه.. واحد، وقد يستره ويكتمه الحق سبحانه وتعالى ولا يدري به الشيخ أو لا يلتفت إليه، إلى غير ذلك من الأحوال التي تعرِض فيفوت على ذلك السائر شيء كثير.

فلهذا كان في ذكره لحاله.. لا يكتم شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده، وما يظهر له من كرامة وإجابة؛ لتُنفى عنه دواخلها، ليُنفى عنه زغلها، ليُنفى عنه ما يعلق بها من النقائص، ليكمل له نورانيتها، ليَعبُر بها إلى ما فوقها إلى غير ذلك من المنافع.

قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: ويَكشف المريد للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، يعني ما يقصر ولا يتأرجح في ذكر الحال، ولكن تماماً كما يعلم الله منه.. يذكره واضحاً صريحاً للشيخ، وما كان يستحي من كشفه.. يذكره بالإيماء والتعريض؛ ليدخل في حيِّز علم الشيخ وإرادته؛ ليكون ذلك سبباً لتولِّي الله له في ذلك الحال والأمر بمنزلة ذلك الشيخ ورجال سنده أو سنده إلى المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم.

قال: فإنه متى انطوى على شيء لا يكشفه للشيخ سواء من الظلمة أو من النور تصريحاً ولا تعريضاً.. يصير على باطنه منه عُقدَة في الطريق، فإما أن يُحجب بالظلمة.. فلا يسير عنها، أو بالنور.. فلا يسير فيه.

ومطلوب منه: **أن يقطع الحجب الكثيفة.. بالسير عنها غير مقتصر، وأن يقطع الحجب اللطيفة.. بالسير فيها.**

فقد يكون حجابه من النور فيقف عنده.. فلا يسير فيه، فلا يستفيد منه ولا ينتفع به، فإنما جاء إلا من أجل يسير فيه وبه إلى ما وراءه، وقد يكون من الظلمة فتحِلُّ عليه.. فما يعرف التخلص منها.

فيقول: يصير منه عقدة في الطريق على باطنه، لكن بالقول مع الشيخ.. تنحَلُّ العقدة وتزول، ويتيسر له السير عن هذا والسير في هذا.

❁ إلزام المريد شيخاً واحداً في تأديبه وتهذيبه:

قال سيدي رضي الله عنه: كذلك لا يدخل في صحبة الشيخ إن كان من أهل التمكين ومن أهل الخير ومن أهل التأديب إلا حتى يوقن ويعلم أنه قيِّم بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم به من غيره.

فإنه مهما كان في باطنه تطلع في شأن التربية إلى ذا وذاك.. لا تصفوا صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يأخذ الأمر بقوة كما ينبغي، فحينئذ لا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ فيه.

ويكون مع الشيخ الثاني أيضاً عنده شيء من التوجه ولكن ما يكفيه فليس له الاستعداد لسراية حال، فلا من حال ذا يسري ولا من حال ذا يسري، فيصير محصور.

ولكن إذا اجتمع قلبه على واحد منهم.. انفتح له المجال، فإذا سرت إليه سراية حال هذا الشيخ، فحسن استمداده من جميع الشيوخ يبقى على رسوخ وعلى تهيئة وعلى قناة مفتوحة له من قِبل ذاك الشيخ الذي فاض حاله إليه، أو وصلت سراية حال إليه وسره عليه.

قال -أي أبو عبد الله السهروردي-: فإن المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة.. عرف فضله وقويت محبته، فإذا تم ذلك فلقوة المحبة والتآلف

هو الواسطة بين المريد والشيخ، بل على قدر قوة المحبة.. تكون سراية الحال؛ لأن المحبة علامة التعارف، والتعارف علامة الجنسية، والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ، وما لم يكن تجانس بينه في استعداده ووجهته وبين حال الشيخ لا تسري إليه السراية، يكون مقطوعاً عنه وإن صحبه مدة، والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

والحمد لله رب العالمين

تاريخ ١٣/ ربيع الأول/ ١٤٣٤هـ

الفهرس